**فيتنام**

حاولت اربعة دول استعمارية ( وهي فرنسا ، بريطانيا ، هولندا ،والبرتغال ) ومنذ مطلع القرن السادس عشر اقامة مراكز تجارية ودينية في فيتنام تمهيدا لاحتلالها . الا انه منذ مطلع القرن التاسع عشر بدأ تفوق النفوذ الفرنسي وتغلبه الواضح على نفوذ بقية الدول الاوربية الاخرى في فيتنام.

تمكن الامير (فوك انه)(وهو احد امراء عائلة نيجوين) في عام 1802 وبمساعدة البعثة التبشيرية الفرنسية ان يوحد البلاد تحت حكمه ويعلن نفسه امبراطورا تحت اسم (جيالونج ) ويجعل من عاصمة امارته (هيو) عاصمة لفيتنام وبذلك اصبحت فرنسا الدولة الاوربية الوحيدة التي لها ممثلون دائميون في فيتنام .

اتبع (جيالونج) سياسة الاحتفاء بجميع ممثلي الدول الاوربية وعدم مصادقة احد ، وكان يأمل من ذلك تجنب المخاطر التي يمكن ان تأتي منهم ، الا ان خليفته في الحكم والمدعو ( منه مانج ) (1820-1840) ، اتخذ موقفا اكثر قوة وعنفا وعمل على احياء سياسة (اضطهاد البعثات التبشيرية ) اذ ادرك ان هذه البعثات جزء لا يتجزأ من الاستعمار الغربي . واستمر حكام هذه الدول في اتباع سياسة العزلة عن دول الغرب وعدم الاتصال بهم. هذه السياسة لم ترق لأصحاب المصالح وبخاصة التجارية منها من الفرنسيين ، لذا اخذوا يطالبون الحكومة الفرنسية بضرورة التدخل عسكريا والسيطرة على فيتنام من اجل تحويلها الى مستعمرة تابعة لفرنسا .

**مراحل السيطرة الفرنسية**

سارت عمليات الغزو الفرنسي لفيتنام وفق مراحل عدة ابتدأت المرحلة الاولى في ايلول 1858 عندما قررت فرنسا احتلال ميناء (توران) الفيتنامي متذرعين بحماية المبشرين الا ان قوات الامبراطور الفيتنامي (تي ديو ) تمكنت من صد هذه المحاولة في بداية الامر . لكن الفرنسيون اعادوا الكرة ثانية واستطاعوا الاستيلاء على هذا الميناء دون التوغل في المناطق الداخلية.

في شباط 1859 جهزت فرنسا حملتها الثانية متخذة من حماية ممارسة الشعائر الدينية المسيحية مبررا في ذلك ، وتمكنت احتلال مدينتي (سايغون) و (تونكين) وبعد عامين من هذا التاريخ ، قامت فرنسا بتوقيع معاهدة مع الامبراطور الفيتنامي الرابع (تي دك ) والذي يعد اخر امبراطور يحكم بصورة مستقلة عن الفرنسيين.

تضمنت هذه المعاهدة بنودا عديدة كان من اهمها:-

1. حصول فرنسا على ثلاث مقاطعات بجوار (سايغون) .
2. تعدت فيتنام بعدم التنازل عن اي جزء من اراضيها لاية قوة اجنبية اخرى الا بعد موافقة فرنسا .
3. ضم مقاطعة (كوشين) الى النفوذ الفرنسي تحت ذريعة ان الثوار الفيتناميين يتخذون من هذه المنطقة قاعدة لعملياتهم العسكرية ضد الفرنسيين.

اما المرحلة الثالثة فقد بدأت بعدما تمكنت بريطانيا من السيطرة على المستعمرات الفرنسية في شبه القارة الهندية . وما ان حل عام 1883 حتى تمكنت فرنسا من السيطرة على جميع الاراضي الفيتنامية .

وبعد الازمة الاقتصادية التي مرت بها فرنسا في اعقاب الحرب الفرنسية ـالبروسية وكذلك الحرب الاهلية ، والتي ادت الى تخلخل توازنها في الجبهة الاوربية والجبهة الداخلية ، لذلك رأت تعويض ذلك من خلال السيطرة على فيتنام والاستغلال الكامل لثرواتها ، وهكذا ومنذ اب عام 1883 اصبحت فيتنام فاقدة لاستقلالها .

اثرت السيطرة الفرنسية على فيتنام اذ ادت الى ضياع الصورة التقليدية للمجتمع الفيتنامي وظهور صورة جديدة لمجتمع اتسم بالضعف . وهكذا اصبحت البلاد مقسمة الى ثلاث مناطق هي ( كوشين شينا ) وهي مستعمرة فرنسية ومنطقتا (أنام ) و (تونكين ) وهما محميتان فرنسيتان . وفي عام 1887 ضمت هذه المناطق الثلاث الى كمبوديا ، واصبحت تعرف منذ عام 1864 باسم ( اتحاد الهند الصينية الفرنسي ) والذي كان يحكمها حاكم عام مسؤول امام وزارة المستعمرات الفرنسية . وفي عام 1893 انضمت للاتحاد المحمية الفرنسية ( لاوس) ثم انضمت اليه مقاطعة (كونجشيوان) في عام 1896.

تميز الاستعمار الفرنسي بالسياسة غير المستقرة وبإعادة تنظيم الجهاز الاداري لمرات عدة ، وكذلك سرعة تغيير القائمين على المناصب الرئيسية للاتحاد ففي المدة المحصورة بين عامي 1892-1930 حكم الهند الصينية ثلاثة وعشرون حاكما فرنسيا ، هذا فضلا عن عدد اكبر من ذلك من وزراء المستعمرات ويبدو ان السبب في ذلك ؛ يعود الى ان المسؤولين في باريس لم يكن لهم الدراية الكافية بالشؤون الفيتنامية ، فضلا عن الضعف الاداري . ومع بداية القرن العشرين اصبحت السياسة الاستعمارية الفرنسية يسيطر عليها اعتبار واحد هو الاستحواذ على خيرات المستعمرات لصالح فرنسا ، فالسمة الاساسية للإدارة الفرنسية في فيتنام كانت تقوم على الاستغلال الاقتصادي للبلاد بخلاف ما سارت عليه فرنسا في بقية مستعمراتها والمتضمن سياسة الاحتواء الشامل للمناطق المستعمرة اقتصاديا وثقافيا واجتماعيا ويعود ذلك الى : -

1. بُعد فيتنام عن فرنسا .
2. الطبيعة الجغرافية الصعبة لهذه البلاد ، فضلا عن ارتفاع درجات الحرارة فيها.
3. عدم قدرة الفرنسيين على الاستيطان فيها بشكل واسع كما هو الحال في بقية المستعمرات الفرنسية .

نتيجة لذلك سارع اصحاب رؤوس الاموال الفرنسية للقيام بالاستثمارات المالية الرامية الى تحقيق الارباح لفرنسا ، لذلك اقدموا على تأسيس البنوك الفرنسية ، كذلك اتبعت الحكومات الفرنسية المتعاقبة سياسة فرض الضرائب ، كما احتكروا تجارة الخمور والافيون . وسيطرت المصالح الفرنسية على جميع قطاعات الاقتصاد الفيتنامي وبالخصوص قطاع التعدين والمطاط وعُدت فيتنام مصدرا اساسيا للمواد الخام والمواد الغذائية لفرنسا وسوقا لتصريف بضاعتها.

لم تحاول السيطرة الاقتصادية الفرنسية التغيير من الطبيعة الزراعية للاقتصاد الفيتنامي ، فقد بقيت نسبة الفلاحين الفيتناميين حتى عام 1940 تتراوح بين 85-90 % من مجموع السكان.

**التطورات الداخلية في فيتنام خلال الحرب العالمية الثانية**

على اثر هزيمة فرنسا امام المانيا في بداية الحرب العالمية الثانية عام 1940 ، وقعت حكومة (فيشي ) الفرنسية اتفاقية عسكرية مع اليابان الذين تقدوا باتجاه الهند الصينية ، والتي اعترف بها الفرنسيين بما اطلق عليه ( حقوق اليابانيون في فيتنام ) مما عرض الشعب الفيتنامي لاستغلال مزدوج من لدن المستوطنين الفرنسيين واليابانيين في الوقت نفسه .

ادى هذا الواقع المتردي لفيتنام الى قيام العديد من الانتفاضات في شمال البلاد وجنوبها والتي تمت مجابهتها بالعنف، لذلك اقدم الفيتناميون على تشكيل جبهة ضمت جميع ابناء الشعب كان هدفها تحرير البلاد من السيطرة الفرنسية واليابانية اطلق عليها ( منظمة استقلال فيتنام) ، وانتخبت (هوشي منه ) رئيسا لها . تمكنت هذه المنظمة وبعد جهود متواصلة من طرد الفرنسيين واليابانيين من ست مقاطعات في شمال فيتنام حتى النصف الثاني من عام 1944 ، وفي تشرين الاول من عام 1944 تم تشكيل الفرقة المسلحة الاولى لجيش الشعب الفيتنامي ، الا انه بسبب حالة التراخي التي سادت الحركة الوطنية الفيتنامية ، قام اليابانيون في 9 اذار 1945 بانقلاب خاطف اعلنوا على اثره قيام حكومة مستقلة في فيتنام تحت ظل السيطرة اليابانية ، الا ان التطورات السياسية على الساحة الدولية لم تكن بجانب اليابان ، اذ اشتدت مقاومة الحلفاء لليابانيين بسبب مشاريعهم التوسعية التي اخذوا يعلنونها والتي تضمنت الرغبة في تزعم القارة الاسيوية . لأجل ذلك توسعت الثورة الفيتنامية ، اذ اعلنت المقاطعات الست في حزيران من عام 1945 عن تأسيس (منطقة حرة) في الشمال الفيتنامي ، وعلى اثر استسلام اليابان في اب 1945 انتهزت الحركة الوطنية الفيتنامية هذه الفرصة ، اذ تم الاعلان في 9 اب 1945 عن تأسيس ( جمهورية فيتنام الديمقراطية ) وفي 2 ايلول اصبح (هوشي منه ) رئيسا للحكومة ليعلن استقلال بلاده رسميا.

**عودة السيطرة الفرنسية واستمرار المقاومة الفيتنامية 1946-1955**

تعرضت جمهورية فيتنام منذ تأسيسها لضغوط عديدة واطماع استعمارية مختلفة ، كان منها عودة المستعمرين الفرنسيين الى فيتنام بمساعدة بريطانيا . ورغب الامريكان بتقديم مساعدات الى فيتنام مقابل مجموعة من الشروط الهدف منها تحقيق نفوذ امريكي في هذه البلاد . كما فرض الصينيون بزعامة (تشانك كاي تشك ) هيمنتهم على الجزء الشمالي لفيتنام والذين اخذوا يديرون الخطط للإطاحة بحكومة (هوشي منه) وقد سارع الفرنسيون فور انتهاء الحرب العالمية الثانية الى انزال قواتهم في (سايغون) (جنوب فيتنام ) في 31 نيسان 1945 .

اخذ الفرنسيون يضعون الخطط من اجل التوسع صوب الشمال مما اضطر الحكومة الفيتنامية للدخول في مفاوضات مع الفرنسيين تم على اثرها عقد اتفاقية مؤقتة بين الجانبين في 6 اذار 1946 اعترف فرنسا بموجبها باستقلال فيتنام ضمن (الاتحاد الفرنسي ) ووعدت بالانسحاب التدريجي حتى عام 1952 ، لكن الفرنسيون لم يلتزموا بهذا الاتفاق بعد ان نجحوا في القضاء على المقاومة في ( لاوس ) ، وفرضوا حصارا على ميناء (هاي فونك ) الفيتنامي ثم بدأوا يخططون لانقلاب موال لهم في(هانوي ) ابتدأ بمهاجمة السفن الحربية الفرنسية لميناء (هاي فونك) المحاصر. وقتل العديد من الفيتناميين ، ثم احتلت القوات الفرنسية عددا من مكاتب الحكومة وقصفت (هانوي ) بالمدفعية ودمروا السدود ومشايع الري وأتلفوا محصول الرز .

ادت هذه التطورات الى انسحاب الحكومة الفيتنامية من (هانوي) في عام 1947، فاستغل الفرنسيون هذه الفرصة ليقيموا حكومة فيتنامية موالية لهم ، تدعمها الولايات المتحدة الامريكية بينما اخذت جمهورية الصين بزعامة ( ماو تسي تونغ ) وكذلك الاتحاد السوفيتي والدول الاشتراكية تدعم حكومة (هوشي منه ) التي سيطرت على منطقة الحدود الفيتنامية –الصينية وتمكنت من طرد الفرنسيين منها. وقلبت الصراع لصالح المقاومة الفيتنامية. على اثر هذه المستجدات تم عقد مؤتمر (جنيف ) والذي تمخض عنه اتفاقية بين حكومة فيتنام الديمقراطية وفرنسا والولايات المتحدة الامريكية وبريطانيا والاتحاد السوفيتي والصين الشعبية واهم ما جاء فيها :-

1. تقسيم فيتنام بصورة مؤقتة الى جزئين يفصل بينهم خط عرض 17 وتكون فيه الاراضي التي تقع الى شمال هذا الخط خاضعة لسلطة فيتنام الشمالية . اما الاراضي التي تقع جنوب هذا الخط فتكون خاضعة لحكومة فيتنام الجنوبية التي اسسها الفرنسيون .
2. انسحاب القوات الفرنسية خلال 200 يوما.
3. اجراء انتخابات في 20 تموز من عام 1956 في كلا الشطرين الشمالي والجنوبي لغرض تأسيس حكومة فيتنامية موحدة.

**التدخل الامريكي واستمرار المقاومة الفيتنامية**

رفض ( نغو دينه ديم) رئيس جمهورية فيتنام الجنوبية التعاون اجراء انتخابات عامة في فيتنام تنفيذا لاتفاقية جنيف ، مما اثار حفيظة جبهة التحرير الوطني الفيتنامية والتي تأسست في عام 1960 ، وباشرت نشاطها الثوري في جنوب فيتنام تحت اسم ثوار (الفيتكونغ) ، واعلنت تصميمها في اعادة توحيد فيتنام ، هكذا اخذ الوضع السياسي والعسكري في فيتنام بالتدهور السريع امام تدخل مزدوج في اقليم فيتنام الجنوبي . تدخلت الولايات المتحدة الامريكية لمساعدة الحكومة القائمة في سايغون ، وتدخل فيتنام الديمقراطية لمساندة جبهة التحرير الوطني الفيتنامية (الفيتكونغ) التي تحارب حكومة سايغون .

اعلن الرئيس الامريكي جون كندي عام 1961 عن ارسال (4000) خبير عسكري امريكي الى فيتنام الجنوبية لدعم حكومة سايغون ضد هجمات (الفيتكونغ) وفي عام 1963 اغتيل ديم رئيس جمهورية فيتنام الجنوبية ، وتيع ذلك سلسلة من الانقلابات العسكرية والانقلابات المضادة ، وتابعت الولايات المتحدة الامريكية زيادة قواتها العسكرية حتى بلغت قرابة (15000) رجلا. ثم تولى السلطة في فيتنام الجنوبية الجنرال ( نغيون فان ثيو ) بدعم من الامريكيان وفي مطلع اب 1964 ، أتهم الرئيس الامريكي (ليندون جونسون) زوارق الطوربيد العائدة لفيتنام الشمالية بالتعرض لباخرتين حربيتين امريكيتين الى خليج (تونكين) وتمكن في 7 اب 1964 ان يحصل على موافقة الكونغرس الامريكي على تدابيره الانتقامية التي كان باشر بها مبكرا والتي كانت تنص على "انه يحق لرئيس الولايات المتحدة ان يستخدم الاجراء اللازم لردع اي هجوم مسلح ضد القوات الامريكية وهكذا منذ 7 شباط 1965 بدأت القوات الامريكية بشن غاراتها الجوية على فيتنام الشمالية ، كذلك ازدادت القوات الامريكية الى نحو (23 الف مقاتل ) لكن هذه القوات لم تتمكن من الصمود امام هجمات الفيتكونغ المدعومة بقوات فيتنام الشمالية . هذا بدوره ادى الى اقدام الولايات المتحدة الامريكية الى زيادة قواتها لتصل الى قرابة 35 الف مقاتل واستمرت هذه الاعداد بالتزايد.

فشلت كل المساعي التي تم بذلها من لدن مجموعة من الدول لوضع حد لهذه الحرب التي دارت رحاها على ارض فيتنام .الا انه بسبب الضغط الدولي والشعبي المتزايد اضطر الرئيس الامريكي (ليندو جونسون ) الى وقف عمليات القصف الجوي المستمر على فيتنام الشمالية ، لتدخل بعدها الولايات المتحدة الامريكية دائرة مفاوضات السلام في باريس في 18 كانون الثاني 1968 مع مندوبين من فيتنام الشمالية والجنوبية وثوار من منظمة الفيتكونغ لكن دون جدوى ومن دون الوصول لأية نتيجة . وبعد مخاض طويل وصل الى حكم الولايات المتحدة الامريكية الرئيس الرابع والثلاثون والمدعو (ريتشارد نيكسون) في مطلع عام 1969 وعد شعب الولايات المتحدة الامريكية بالعمل على ايقاف تلك الحرب وسحب القوات الامريكية من فيتنام . واتبع الرئيس نيكسون منذ توليه الحكم خطوات ايجابية الانهاء التورط العسكري الامريكي في فيتنام عقب فشل سياسة التصعيد الذي مارسه الرئيس (جونسون ) ، وكانت خطوات (نيكسون ) ترمي الى اخراج الولايات المتحدة من الازمة تحت عنوان (السلام المشرف )وهو سلام لا يمنح الامريكان انتصارا عسكريا وانما يغطي في الواقع هزيمتهم العسكرية امام قوات الفيتكونغ وقوات الجنرال (فون نجوين جياب ) وقد بدأ فعلا اعتبار من حزيران 1969 سحب 25 الف جندي امريكي كدفعة اولى على اساس برنامج الرئيس الامريكي ريتشارد نيكسون المعروف ب (فتنمة الحرب) وهي سياسة قامت على جعل حكومة فيتنام الجنوبية تتولى مسؤولية ادارة دفة الحرب باستمرار الدعم الامريكي المادي والمعنوي لها ، وفيما بين عامي 1969 و 1972 أخذت سياسة (الفتنمة) طريقها التنفيذي بسرعة اذ اخذت القوات الامريكية على عاتقها تدريب وتسليح قوات فيتنام الجنوبية وبلغ تعداد تلك القوات في اذار 1972 حوالي مليون ومائة الف جندي ، ودعمت الولايات المتحدة السلاح الجوي لفيتنام الجنوبية بأحدث انواع الطائرات الحربية التي وصلت في نهاية عام 1973 الى نحو 1400 طائرة وفي شهر كانون الاول 1972 لم يبق في فيتنام سوى 25 الف جندي امريكي ، رغم وجود نحو 98 الف جندي امريكي في تايلند وعلى متن الاسطول الامريكي السابع .

في ضوء ذلك اتخذت قوات المقاومة الفيتنامية (الفيتكونغ) على عاتقها قضية تتبع عمليات التكتيك العسكري من خلال الهجوم المكثف على مواقع العدو وتدمير دفاعاته ، وقطع طرق تموينه وامداداته واصطياد طوابير النجدات التي تسارع الى المواقع المحاصرة ، ثم معاودة الهجوم على المناطق التي تكون فيها كثافة قوات العدو .امتازت قوات الفيتكونغ بالحرص التام على الامساك بزمام المبادرة والقدرة الكبيرة على التنسيق بدقة عالية ، ودراسة العدو دراسة دقيقة ومعرفة اساليب تخطيطاته ، واعتماد الاساليب السرية في اعداد الخطط التي من تحقيق الاهداف التي ترنو المقاومة الى تحقيقها .

اما ابرز اهداف الفيتكونغ فكانت تكمن في افشال سياسة الولايات المتحدة الامريكية في فتنمة الحرب ، وتدمير قوات حكومة سايغون ، واسقاط نظام حكم (فان ثيو )

وفي كانون الثاني 1973 ظهرت فكرة السلام المشرف من جديد والتي اعلنت نصوص اتفاق السلام في باريس بين الطرفين الامريكي والفيتنامي في 24 كانون الثاني 1973 وشملت بنودا حول انسحاب القوات الامريكية واطلاق سراح جميع الاسرى العسكريين والسياسيين ، وتعويض اسلحة قوات فيتنام الجنوبية بنسية 1: 1 فقط ، وتعيين لجان رقابة محايدة للتحقيق في اية ادعاءات بخرق وقف اطلاق النار في فيتنام واعلان حياد لاوس وكمبوديا ، واقامة مجلس وطني للمصالحة في فيتنام الجنوبية يشمل ممثلين عن الفيتكونغ وحكومة سايغون والذي سينظم اجراء الانتخابات في الجنوب الفيتنامي ليفاوض من اجل اعادة توحيد البلاد في نهاية المطاف.

ان كلا من فيتنام الشمالية والجنوبية لم تلتزم ببنود هذا الاتفاق لذا زادت فيتنام الشمالية من امداداتها لقواتها البالغة نحو 180 الفا في الجنوب ، وركزت حكومة ثيو على توسيع منطقة سيطرتها من الشمال وبضرب المناطق التي كانت تحتلها قوات الفيتكونغ وفي كانون الثاني 1975 هاجم جيش فيتام الشمالية مدينة ( فوك بنه ) على بعد 75 ميلا شمال غرب العاصمة سايغون ثم شرع بقطع الطرق الاستراتيجية من المرتفعات الوسطى فكان هذا مقدمة لهزائم وانكسارات كبيرة لقوات فيتنام الجنوبية ، ومهدت لسقوط العاصمة الجنوبية سايغون بأيدي القوات الفيتنامية الشمالية وقوات الفيتكونغ بعد ثمانية اسابيع من القتال . وبذلك كانت نهاية الانظمة الموالية للولايات المتحدة في فيتنام الجنوبية . وكذلك لسياسة الولايات المتحدة الامريكية في فيتنام ، وبذلك تام توحيد فيتنام الجنوبية وفيتنام الشمالية لتصبح دولة واحدة تحت اسم (جمهورية فيتنام الديمقراطية ) بزعامة (هوشي منه) وانهت بذلك الحرب المأساوية التي راح ضحيتها زهاء 80.676 الف من الفيتناميين.